

## أضواء البيان

@ 158 ثمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّاصِرِينَ \* فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي خَيْرَةِ لَّامِنِ الصَّالِحِينَ \* وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُم لَتَأْتُونَ الْفِتْرَةَ مَا سَدَقَكُمُ بِهِمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ \* أَتَيْنَكُم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّيْلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْذِرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ \* وَلَمَّا جَاءَتْهُ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَكَ هَازِلِهِ الْقَرِيبَةَ إِنَّ أَهْلَهَا كَانَزُوا طَالِمِينَ \* قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ \* وَلَمَّا آتَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّنَا مُنْجِيُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ \* إِنَّنَا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَازِلِهِ الْقَرِيبَةَ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ \* وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } < 7 ! } وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِذَا ذُرِينَا آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ } ، إلى قوله : { وَلَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ } . قد قدَّمتنا الآيات الموضحة له ، زيادة إيضاحها من السنَّة الصحيحة في سورة ( النحل ) ، في الكلام على قوله تعالى : { لَيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِمَّنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ } . { فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ } . تقدِّم إيضاحه في ( هود ) وغيرها . . .

وقوله تعالى هنا : { وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ } ، يعني سفينة نوح ؛

كقوله تعالى : { وَءَايَةٌ لَهُمْ أَنزَلْنَا حَمَلًا نَدُّوهُمُ فِي الْفُلِّ لَكَ  
الْمَشْحُونِ \* وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ } ، ونحو ذلك من  
الآيات . { إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ  
رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ } . .

قد قدّمتنا الآيات الموضحة له في سورة ( النحل ) ، في الكلام على قوله تعالى : {  
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ } ، وفي ( سورة الفرقان ) . { وَقَالَ إِنَّمَا  
اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا } إلى قوله { وَمَا لَكُمْ مِّن نَّاصِرِينَ } . قد قدّمتنا الآيات الموضحة  
له في سورة ( الأعراف ) ، في الكلام على قوله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا ارْكَبُوا  
فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبِّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا } ، وفي  
سورة ( الفرقان ) وغير ذلك . { وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ  
وَالْكِتَابَ } . الضمير في قوله : { ذُرِّيَّتَهُ } ، راجع إلى إبراهيم . .

والمعنى : أن الأنبياء والمرسلين الذين أنزلت عليهم الكتب بعد إبراهيم كلهم من ذرية  
إبراهيم ، وما ذكره هنا عن إبراهيم ذكر في سورة ( الحديد ) : أن نوحًا مشترك معه فيه ،  
وذلك واضح لأن إبراهيم من ذرية نوح ، مع أن بعض الأنبياء من ذرية نوح دون إبراهيم ؛  
وذلك في قوله تعالى : { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي  
ذُرِّيَّتِهِمَّ النَّبِيَّةَ وَالْكِتَابَ } . { وَءَاتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي  
الدُّنْيَا وَإِنَّا لَنَرَاهُ فِي لَأْسٍ خَيْرًا لِّلْمِنِّ الصَّالِحِينَ } . ذكر جلَّ وعلا في هذه  
الآية الكريمة أنه أتى إبراهيم أجره ، أي : جزاء عمله في الدنيا ، وإنه في الآخرة أيضًا  
من الصالحين . .

وقال بعض أهل العلم : المراد بأجره في الدنيا : الثناء الحسن عليه في دار الدنيا من  
جميع أهل الملل على اختلافهم إلى كفار ومؤمنين ، والثناء الحسن المذكور هو لسان الصدق ،  
في قوله : { وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ } ، وقوله تعالى : {  
وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا } ، وقوله : { وَإِنَّا لَنَرَاهُ فِي الْآخِرَةِ  
لَمِنَ الصَّالِحِينَ } ، لا يخفى أن الصلاح في الدنيا يظهر بالأعمال الحسنة ، وسائر  
الطاعات ، وأنه في الآخرة يظهر بالجزاء الحسن ، وقد أثنى الله في هذه الآية الكريمة  
على نبيِّه إبراهيم عليه وعلى نبيِّنا الصَّلَاة والسلام ، وقد أثنى على إبراهيم أيضًا في  
آيات أُخرى ؛ كقوله تعالى : { وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ  
فَأَتَمَّهُنَّ } قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } ، وقوله تعالى : {

وَإِبْرَاهِيمَ \* الَّذِي وَفَّى { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً  
قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ  
اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَأَتَيْنَاهُ فِي